



ناصر قنديل

مع الزميلة «الميادين» نبدأ حديث الجمعة لهذا الأسبوع، إذ ندعو عبر المختصر المفيد أهل الإعلام والقلم والحقوق في العالم العربي إلى التضامن مع قضية منحتنا إياها قناة وُلدت من رحم عمق ثقافي وشعبي نخبوي عربي. ثمّ ننقل إلى الصباحات بإسمينها، و«قالت له» بالحدِيث عن الحُبِّ، والرياضيات عندما تغزو الكلام فتنوّع المعاني. والختام مع مسك المشاركات التي يرفدنا بها أصدقاء أعزاء.

صباحات

- في كلّ التراب، ينبت الزهر. لكن عطره يكون فوّاحاً عندما يجبل التراب بدماء الشهداء، لأنّ العطر بعض نور، والصباح بعض من نور وجوههم، والعطر كرامة والكرامة بعض من اكتمال دورة زمانهم، والشمس تغيب تواضعا لتشرق هاماتهم... سيزداد عطر الياسمين في الشام فوحاً وبوحاً.
- أصل المدن بحر، وأصل البحر ملح، ولما تلاقى المدينة الزاحفة أجزاء متناثرة من أعالي الجبال وأعماق الصحارى إلى البحر لتولد حاملة معها توابل الهند وحرف العرب وحكمة الإغريق وصبر صنّاع السجاد وحنكتهم، غسّلت أقدامها بالملح وتوضّأت بالنور، والتقت إلى يسارها والبحر يحمّ وجهها، وعبت بخصلة من شعرها وقالت: يا قدس، ستولدين هنا وساكون لك أنا الوصيّة واسمي صور.
- قابل الياسمين قطرة ندى فقالت له: لماذا فتحت أزراك وبوح أسرارك وفوح عطرك على توقيت إطلالة الضوء وانعقاد قطرات الندى على نسس الليل؟ فهل من موعد يجمعنا؟
- فقال لها: عاشقان تنتهي ليالي السهر بهما من عنقيد الندى ينتظران طلوع الصباح على عطر الياسمين، ورويان حكاية أننا زينة الليل والنهار. ويكون لنا يوم ضباب يخدع الندى بالعمّة أنّ الليل ممتد، ويخدع الياسمين ببعض ضوء يبشر بالنهار، فنلتقي على توقيت لم تكن لنا يد فيه، ونتعاقب مرة في السنة... قيمة الناس والأشياء في حياتكم بدرجة حضورهم سبباً في ساعة توقيتكم.
- ببني وبين بيروت حبّ قديم، فمن بحرنا أطلق أشرعتي... لكن ببني وبين دمشق شغف يحكمه ضوع الياسمين وبوابات على حقائق التاريخ... أما القدس والقاهرة فلوعة الفراق.
- ثمّة زهرة أحيبها. ومن نحيم بطريقتنا الصاخبة لا نشترط عليهم مبادلتنا أكثر من تقدير الاهتمام... نحيمهم وكفى.
- اليوم أشرقت الشمس من حلب، وستدور الشمس هلالاً حول حلب حتى تشرق وتغيب منها، وتشرق وتغيب ويطلع البدر فوق بيوتها وأضرحة الشهداء.
- لن تناول أجنحة النور أهل الظلمة ولا أهل المال. وأهل الظلمة هم جماعة مؤثت الظلم وزوجته المخلصة، وأهل المال هم أهل التبدل والتحول. فكما مال الغصن مع الريح مالوا... وهم في كثير من الأحيان أتباع... وربما يكونون من جماعة الأردو وهي لغة اليهود... لكن العرب والأتراك الذين يتقنونها جاؤوا من اسطبلات شيوخ الخليج عسسا وغلمانا، وهذا منشأ الأردو غان أو الأردوي ويلفظ أحيانا بالقرضاوي تيمنا بالنوك والقروض ولتشابه الحروف ربما القردو... الصباح لكم يا شرفاء البلاد ومقاوميه والمدافعين عن ثغورها، وللياسمين يسّع عطرا ونورا، والعشب المعربش والمخضوضر على أضرحة الشهداء.

قالت له

- قالت له: لو كان لحبك دواء، لما طلبت الشفاء منه. فهو دائي الجميل الذي وددت لو يكون بكل ما فيه من طقوس العتاب والحزن والمرارات والفرح والإبتسامات والحنان، رقيق العمر كله.
- فقال لها وهو يغادر: لا مواسمٍ للحبِّ ولا نهايات. وله روح تنفصل عن طرفيه وأحوال تتبدل لتؤامم تقلبات الدهر. فلا تخشّي على الحبِّ أنه أقدر من الذين يعيشونه، كما الماء أقوى من النهر إذا أفتلت في وجهه مجاز شق طريقه بمجار جديدة، وإذا تعثرت غاص في جوف الأرض ليتفجّر ينبوع خبير، في صخّ تدفقه لنهر قديم. أو صار نهراً جديداً. وكما الضوء لا تسد الأبواب المغلقة تسرب إشعاعه، يبقى الحب ينير قلوب المحبين. وكما الهواء عابر للحواجز ومالي للفرّاغ يسكن الحبِّ في القلوب زوايا السكنية التي تمنحنا الدفء في وجه المرارات.
- فقلت: وأقدارنا والفراق؟
- فقال: هي مجرد مجاز لأنها قد تعيقها سدود، فننتظر الولادة في شكل.
- فقلت: وهل يتغير شكل الحبِّ؟
- فقال: كما يتغير شكل النهر وأسماء الأنهار، واستخدامنا ماءه، لكنه يبقى مصدرنا للخير والسكينة.
- فأحنت رأسها على كتفه وقبّلها في جبينها.

رياضيات في الكلام

- نريد الناس الذين نحبهم في حياتنا جداً كبوليصه التأمين، أو أسهماً متحرّكة نستثمر الوقت بالتفاعل معها. الأولى تكفي بالأطمئنان لوجودها، والثانية تتبع توقيتها... يحدث الشوق في الحاليتين، لكن الشغف مرهون بالنظرة الواحدة... فمن أنتم في عيون أحبّتكم، أسهم حركتكم في الوقت أم بوليصه تأمينهم... إن فهمتم لا تعاتبوا ولا تحاسبوا، تصرفوا بما يرضيهم، فتلك سعادة أيضاً.
- جاذبية ضوء الصباح وجاذبية أضواء النجومية لا تجتمعان. سمّوها نجومية لأنها حالمة تعشق الليل ويدور الكون من حولها تعيش على الدلال... أما نجوم الصبح فتتبعها القوافل وضوء راحل ولا تبالي.
- سوار الذهب الذي يزعج معصم العروس يبقى ذهباً... فلا تدعوا تقييمكم للناس الذين تعرفون قيمتهم في حياتكم يتقلب بقلوبكم أمزجتكم تجاههم. ولا تسمحوا للغة التخاطب معهم أن تحكّم لإحساسكم بالراحة أو الإزعاج.
- ذاكرة الأوطان في المحن كذاكرة النساء في الحبِّ. تحفظ أمرين: التضحية والخيانة.
- القلب فضيلة البشر لا العقل، والقلب مصدر الأخلاق والمشاعر والقضايا النبيلة، ومن كانت قلوبهم عامرة بالخير والفضيلة يستثمرون العقل ويوظفونه في خدمتها. ومن كانوا عقولاً بلا قلوب صاروا وحوشاً كاسرة لا ترحم للتفرّد بمنع الحياة وخيراتها بلا منظومة قيم... لا نبالغوا بعقلنة كل شيء في حياتكم باعتبارها مصدر فخر، ولا تهينوا قلوبكم بإنكار دورها في خياراتكم. فإن كان ما تزعمون صحيحاً فأنتم بشر لا يعاشرون.
- العقل أذكى من الإنسان العاقل، لأنه يرشده بالحدس إلى الأفضل، ويجد له الاعذار عندما يخالفه إذا فشل، ويعزّيه بأن الحياة تحتمل المزيد من الغرض كي يقدم ويعاود الكرة.

والمؤمّلة من أنابيب النفط السوداء. فبدأت الإشارات العدائية تتنامى وتتصاعد من الحصار والمنع وتقييد الحركة والتواجد في ساحات الخبر، لتصل إلى السعي إلى إيقاف البث، وهو يبدأ اليوم من إنزال القناة عن القمر «عربسات»، الذي تملكه الدول العربية مجتمعة، ويصل حدّ مطالبة الحكومة اللبنانية وقف استضافتها قناة الميادين على أراضيها، والسماح لهما بممارسة مهمتها الإعلامية الرفيعة، بينما تعجّ الفضايات العربية بمئات القنوات المتبدلة والتافهة والمريضة، ثقافياً ودينياً وسلوكياً واجتماعياً. ويعتبرها القيمون على الإعلام العربي وأقماره الصناعية إضافة ترفيحية أو تنويراً بالتعذد ويضيق صدرهم بالميادين ورقبها، لا لشيء، إلا لأنها فضحتهم.

● الملقق هو مستوي التفتك والبلادة الذي يعيشه قطاع رجال الإعلام وتقاباته وأيضاً في العالم العربي. فبعدما كان التضامن دفاعاً عن حرّية منبر إعلامي مصدر تباه من الممتننين للخط المخالف. صارت المجاهرة بالتخندق في متأريس الحرب تتم بلا وجل. وصار المؤمنون بصوابية التضامن ضحايا ثقافة شخصية تتلقل من حساب تعامل الإعلام المستهدف مع أخبارهم أو نسبة منحهم بعضاً من مساحات تأثيرها، لا بصفتها قضية رأي عام. وصار جزء ثالث، ينطلق من الخشية على مصالحه وموقعه المهني بعدما تغولت وتواقحت آلات العقاب التي كانت أشدّ خجلاً وتسامحاً في الماضي.

● القضية ليست الميادين، فهي لن تعدم الوسائل للحفاظ تقنياً على أعلى درجات التواصل مع جمهورها. وواهمون الذين يفترضون أن إجراءات المنع والملاحقة ينتج عنها ما هو أكثر من تنوير شرائع جديدة من الراي العام على أهمية القناة. القضية هي قضية صنّاع الراي العام في العالم العربي، وردّ الاعتبار إلى منظومة قيم تتصل بمساتتي الحرية والديمقراطية. وقضية الميادين قضية الحرّية والديمقراطية بامتياز. تكفي لا يتخذها كقضية بمعزل عن الموقف السياسي، أهل الزعم بأنهم أهل الحرّية والديمقراطية عنواناً للانتصار لقضيتهم ورفع منسوب التمسك بقيم يفترض أنها رسالتهم كأولوية هتكوا آذاننا وهم يقولون بتقدمها على قضية المقاومة وفلسطين. وكيف يقيسون بالسباسة قضية؟ وهل تبقى حرية وديمقراطية عندما يصير الاحياع مشروطاً بالتوافق؟ أم هي شروط أخلّ الدكتاتورية والشمولية؟

● النداء لأهل الإعلام والحقوق في العالم العربي أن تحركوا وكتبوا واعتصموا وراسلوا العالم لأجلكم، ولأجل القيم السامية التي تمثّلون، لا لأجل الميادين، فقد منحككم الميادين قضية...
*ينشر هذا المقال بالتزامن مع الزميلتين «الشرق» التونسية و«الثورة» السورية.

ناصر قنديل

ينشر هذا المقال بالتزامن مع الزميلتين «الشرق» التونسية و«الثورة» السورية.

نزف السنين

قالت له: كغراب وحيد يجثم بين الأغصان لم يستطع كبح دموعه. وعلى الطريق مسافرا إلى عيون لم تعد تراك. إلى متى ستبقى باحثاً عن حبك القديم بين ماضٍ حاضٍ وأوراقه صفراء؟
مكانك أبقي. فالخيال حطم صورك الجميلة إلى آلاف الشظايا.
قال لها: خذ صدق ذكرياتي، أنا والموت على موعد. أصير صدى في الزوايا يتردد. كنت في كل لحظة حاضراً. وصمكت النقيط حولتي إلى غائب. الآن: كل شيء يجرحنا. غروب الشمس، رائحة الياسمين وموج البحر.
كيف تسألين؟ وأنت من أدخلنا إلى سجن الحزين. تعالي نخبر الحبيب الحقيقة، وننهي معاً نزف السنين. هل تجرؤين؟
قالت: كم أنت عنيد أيها القلب. تفعل ما تريد في هذا الجسد. أردت لفصتي أن تكون قصيرة: وتطيلها أنت إلى الأبد. العمر تبخر، والكلمات لا تنتهي. بيدي اخترت العزلة وقلبي عليّ تمزّد ولم ينتهِ.

رائيا الصوت

أسمح؟

تناولت دفترها الخاص من حقيبة ذكرياتها، سافرت بين صفحاته الملوّنة. هنا تكفّف دموعه، وهناك تحضن بسمة، وهناك حلم أبهى، ولحظات أسمي. وهل من شوقٍ أعلى على دروب الانتظار؟
من قال إننا نخنار؟ نظنّ! لسنا إلا موجه لا تعرف الفراق.
ما زالت في دفترها: نصاعة شدّتها إليه، حملت قلمها وكتبت: «ممساتك تذيبني، وتسكنني هيما، فوق بيادر الحنطة، حيث ملامحل! لك نقيض روحي عشقا... أتعرف أنك نازح؟ ندرة الحب في غياهب الحرب. أشعر أنني أعيش أعماراً وأعماراً، وأنّ حيكٍ يملؤني أفعاراً وأفعاراً.
أنا، أيام عمري، لا تكفي، كم أحبّ أن أراك أكثر! فكيف في عجالة من الزمن؟ الآن، أود أن أغفو في عينيك، أسمح؟»

سحر عبد الخالق

العشاق الثلاثة*

نظرت ذات صباح إلى نقطة الكون الأرضي. وإذا بقاسيون ينبض، ينهض، يبادلني النظرة... أستجيب!
وإذ بي أرى في عينيه زهرة شتاء، تقاوم، تستمدّ من قسوة المناخ قوة اللقاء. تبادلني الزهرة النظرة مرة بعد مرة: تحبيني، أحبها... نتواعد!
وفي ليلة هاربة من الزمن، نزلت من نجمتي إلى قاسيون، فوافق نزولي إليه صعود بردى إليه. وكان حديث ذو شجون!
قالت حورية من بردى وهو يحضن الزهرة وقد صفقّ بلقاني: أتدري أنني لبّيت استغاثتها؟ ولكن زنجوبيا التي دامها «أورليان» في غفلة ثابته من التاريخ تنتظرني وإلى جانبها الفارس «أ» وقد نقلت من أوغاريث إليها!
أتريد أن نجتمع إليهما؟ ولكنهما يشترطان على اللقاء أن يصطحب كلّ منا أذنه وعينه، ولك أنوافق!
بحث لحبيبتني الزهرة بسز ولد لتؤد، وافقت، سرنا سوياً مع بردى وحوريتّه في كنف قاسيون إلى «زنجوبيا» التي استحال فؤادها إلى ما لا يحصى من عيون دامعة. في حين استحال عيناها إلى نجمتين، حطت إحداهما على بردى والثانية على النيل... الله، ما هذا؟!
وعقدنا العزم... أعراس ثلاثة وأنا والزهرة
الألف وزنجوبيا
قاسيون وحورية بردى.
وأفقت من رؤيا رجوت أن تصير رؤوية.
أفقت بأوسع إبتسامة قلب في تاريخ حبّ، وياكبر زخمة شعب في تاريخ حرب. من سلسلة «قصص للأطفال الكبار»

سحر أحمد علي الحارة



كلمة «نسيان»

عجبا لمن كان للوطن خوّاناً، حمل السلاح كافرأ به قاتلاً ومخرباً، وسارقاً الأمان والأمان. نصر الغريب على أهل الدار فكان لعادتنا وأعرافنا نكاراً. باع الكرامة بأبخس الأثمان واستعاض عن الأخوة بالقليل من المنفعة والمال. انصت للشيطان وقام بفعل ما هو محرّم ومناف لكل ما ينسب لمكارم الأخلاق.
واليوم، يحكم ما سمي «مصالحة وطنية»، علينا قبوله في مجتمعنا الذي كان من قبل قد عاده، أمّلين منه حسن الأياب.
ولكن ما نخافه ونخشاه، أننا سمحنا من جديد للفاعي تتلوى زاحفة بيننا تهدد بسمها كل الأحرار! أتربا غفرتا ما كان؟ أم علينا أن نتذكر أن في قاموس لغتنا العربية كلمة «نسيان»، وهل تحقّق لنا الأمان؟

رشا مارديني

بين فلسطين وسورية

بين سماء سورية وشوارع فلسطين نصر من الله أت.
ففي سماء سورية غضبٌ سامع يبرق ويرعد حقاً وشرفاً وعزيمة وإصراراً. فيقطر خيرا يطوف في تلك القلوب الصادقة، هناك على أرض الحق. فتفتخر البراكين المحقونة، وتثور الهمم الموجهة. فالزعر ذابل، والأرض عطشى، والتراب قد دسّس من أيادي الغدر.
الأجبار تنتلق، والأسود تزأر، والكلاب تنبح، وقدرة الله قوية، وفي المعارك لا نبات إلا لأصحاب القضية.
ما بين سورية وفلسطين بوتين والأسد وحزب الله وإيران الأبية. وبين كيان مزعوم أو هن من بيت العنكبوت، يليث لحمائته هولاند الغبي وأوباما العاجز، وأردوغان المريض، وفتران الأنايب المنعورة، غضب يتسارع في خطواته ويسابق التاريخ ليحلق بانتفاضة ثالثة.
ففي الشوارع سكاكين جارحة، تواجه حملة رفض حاقدة. من رؤيا رجوت أن تحمي لشمي مبدأ سيادة الأرض لأصحابها.
في الشوارع قلوب مفعوجة، أفسناها الاستعمار. رحلة آلام وأمال صامتة، قلب مفعوجة يموت أصبح ماضيا غائبا في ظلمة الانتفاضة. أعتقد أنه موت شيء كان اسمه النخوة العربية، التي تفلتنا بدم بارد ألف وألف مرة قبل أن تصبح جثة هامدة.
وفي سورية أرض العروية لم تنم أبداً المقاومة. فهي كانت وما زالت خط الدفاع الأول عن قضية الكرامة. هذا البلد الأبي الذي قدم الكثير للتاريخ والحضارة، عطاءً ومقاومة، قدم سلاحاً ورواحاً فدء للقضية، حتى في مواجهته تلك الأزمة الملعونة، فهو يدافع عن وجود فلسطين ويحمي بقاها.
ففي سورية يلاقون حتفهم، على حافة الهاوية آخر معالقات الرذقة الكفار ورقة «إسرائيل» الباقية. وبعد سقوطهم، سيسقط فئات الكيان الدخيل على تاريخ سيّسجّل أن «إسرائيل» مجرد نزوة عابرة. هؤلاء الشرفاء هم أبناء فلسطين الحقيقيون، وأصحاب القضية. هؤلاء هم من يصارعون الموت حتى تُطهر وتحرّر أولى القبليتين، وثالث الحرمين بقايا الاعتصاب الذي لم يبق منه إلا بعض الحروف بين الكلمات الضائعة.
هؤلاء هم أرواح العفوان الفتية، هم براءة الطفولة العذبة، هم كرامة الأنوثة العربية، لا حماس ومشمّل ومنيّة وحفنة من الخونة لا يحملون أي هوية.

سناء أسعد